الفصل الرابع:

تأثير نشأته على شخصيته

obeikandl.com

الفصل الرابع: تأثير نشأته على شخصيته

إن التنشئة الاجتماعية هي عملية نمو يتحول فيها الإنسان من طفل يعتمد على غيره إلى إنسان مكتمل العقل، ناضج الفكر يدرك معنى المسؤولية الاجتماعية وكيف يتحملها، ويضبط انفعالاته، ويتحكم في إشباع حاجاته بما يتفق والأسس الدينية والاجتماعية، كما أن التنشئة الاجتماعية تجعل الإنسان يدرك قيم المجتمع ويلتزم بها في إطار علاقات اجتماعية سليمة مع غيره.

والتنشئة تعليم وتعلُّم تهدف إلى إكساب الإنسان «طفلاً، فمراهقاً، فراشداً، فشيخاً» سلوكاً وقيماً واتجاهات مناسبة تتفق مع ما تتطلبه أدواره الاجتماعية. وما مرّ به محمد السبيعي في مراحل حياته المختلفة كان له كبير الأثر في صقل شخصيته، فقد أكسبته الصلابة وشدة التحمّل وقوة الشخصية والصبر والتريث والتفكير السليم المتأني المقدرة الفاعلة على اتخاذ القرار السليم في الوقت الوجيز. كذلك اتسمت شخصيته بحبه الشديد للعائلة وقربه منها، وانتمائه لمجتمعه وحبه الفيَّاض للوطن، كما نلمح حرصه على صلة الرحم، وسؤاله عن الجميع، وتواصله مع الجار، وكان شديد التأثر بحديث النبي ﷺ حين قال لعائشة رضي الله عنها: «إنه من أُعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير، ومن

حُرم حظه من الرفق فقد حُرم حظه من الخير»(١) ، وبالحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه حيث قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سره أن يُبسط له في رزقه أو يُنسأ له في أثره ، فليصل رحمه»(٢) ، وصلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار الديار ويزيدان في الأعمار»(٣).

قال مرة عن والديه:

الوالدة ماشي كماها بالبشر
تعبت وربتنا وحنا مصغرين
عساها بالجنة بعد طول العمر
مع سيد الأبرار ختام المرسلين
آمين قولوها يا من حضر
والله كريم مواعد للصابرين

فكانت وصيته للجميع هي تلك المبادئ والصفات، ثم إن فقده لوالده أورثه الحنان المتوقد، وما مرَّ به من حاجةٍ جعلته ينظر إلى الفقراء والمساكين نظرة عطف؛ لذلك نراه دائماً يتلمّس حاجاتهم ويساعدهم، اقتداء بحديث النبي ﷺ كما في الصحيحين «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين، وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى وفرَّق بينهما»(٤).

وقد اكتسب محمد السبيعي من خلال إقامته في الحجاز (ملتقى الحجاج والتجار من كل الأقطار الإسلامية) أفقاً واسعاً واطلاعاً كبيراً على ثقافات

(١) رواه الترمذي.
(٢) أخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه.
(٣) رواه الترمذي.
(٤) أخرجه البخاري ومسلم في الزهد والرقائق.

obeikandl.com

الشعوب وطباعها وكثيراً من عاداتها، وبات أكثر انفتاحاً على الآخرين من أقرانه النجديين، فكوّن رصيداً طيباً من العلاقات الاجتماعية الحميمة مع فئات من أهل الحجاز والشام ومصر والهند، وما زال بعضها ممتداً إلى اليوم؛ لذا كانت علاقاته متشعبة نتيجة لحسن خلقه ودماثة طباعه، وأدبه الجم مع الجميع، وقد مدحه كثير من الشعراء والأدباء والخلان، فقد قال عنه الشيخ عثمان بن ناصر الصالح - رحمه الله -:

أرى الكرم الجميل من السبيعي
طباعاً منه كالماء النمير
يقول محمد جيئوا إلينا
وزورونا بمصيفنا النضير
فطائفنا بحرٍّ الصيف أضحى
لطيفاً في «الهدا» بين الصخور
نديم إن تحدَّث بين قوم
فما للشيخ فيهم من نظير
وفي الآداب والأنساب واعٍ
وأنعم بالأديب وبالخبير
كأنك منه في روضٍ جميلٍ
تشم العبق من نفح الزهور

obeikandl.com